الدلالة الاجتماعية ودورها في الحوار القرآني في سورة يوسف

محمد هاشمي
محمد شافعي ذوالكفل
ضياء الرحمن مت سعد

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى التحقيق وراء الدلالة الاجتماعية في الحوار القرآني في سورة يوسف. وذلك باعتبار أن الحوار نشاط اجتماعي يمارسه الناس في حياتهم؛ إذ إنه إحدى الوسائل الرئيسة في التعبير الفكري والعاطفي لدى الإنسان، به يتواصل مع غيره، ومن خلاله يحقق مقصد اللغة التي عبر عنها ابن جني بقوله: "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[١]. ونلاحظ من هذا التعريف تخصيص ابن جني النشاط اللغوي بالأصوات التي يصدرها أقوام (أي جماعة لغوية)، وهذه الأصوات ناتجة من خلال الحوار والمشافهة. إذن فالحوار والمجتمع مكوِّنَان لا يمكن الفصل بينهما؛ فتطور المجتمع يستدعي تطور الحوار وما يحمله من دلالات ومعانيَ. وهذه الدلالات والمعاني تُحكم بناءً على السياقات الاجتماعية الحددة، وتتحكم فيها الظروف والمواقف المختلفة على حسب العصور والشعوب، ويؤدي الزمان والمكان فيهما دورًا كبيرًا. لقد توصلت الدراسة بأن الدلالة الاجتماعية في الحوار القرآني في سورة يوسف تلعب دورا مهما في توسيع نطاق المعنى وتمددها إلى أبعاد تجاوزت حدود الألفاظ والمصطلحات.

الكلمات المفتاحية: الدلالة–الاجتماعية–تحليل الاجتماعي–الحوار.

[١] عثمان بن جني، ابن جني، **الخصائص**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ط٢، ١٩٥٢م، ج١، ص٣٣).

الدلالة الاجتماعية

إن اللغة ليست مجرد أنظمة متكونة من العناصر اللغوية، بل هي وليدة الحاجة للمجتمع ومسايرته في كل مواقفه، فهي ظاهرة اجتماعية تؤدي دورًا مهمًّا في المجتمع، وتخضع لمقاييسه العرفية والثقافية والعلمية، وهي بذلك أصبحت قطعة ملاصقة لحياة البشرية وجزءًا لا يتجزأ منها.[٢]

من المظاهر التي تشير إلى تفاعل اللغة بالمجتمع تطور دلالات بعض الألفاظ، فلم تعد تفيد نفس الدلالة التي كانت تفيدها من قبل، بل تطورت دلالتها لأسباب اجتماعية. مثال ذلك: ما نراه في الكلمات التي لها صلة بالتخصصات العلمية، فكلمة "الحقل" عند طبقة الفلاحين تعني "الأرض الزراعية"، بينما تعني الكلمة نفسها عند العلماء والباحثين "ميدان البحث"، وكلمة "معمل" عند منتجي الدواجن تعني "بناء توضع فيه البيوض للتفريخ" والكلمة ذاتها تعني "أجهزة دقيقة يستخدمها الباحثون في تجاربهم العلمية". وقد تتطور أيضًا دلالة الكلمات لتطور ثقافة المجتمع؛ فكلمة "القطار" كانت تطلق على الإبل المقطورة فتغير مدلولها لتفيد معنى العربات الحديثة التي تسير على السكك الحديدية.

من هنا ذهب العلماء إلى ضرورة البحث في اللغة باعتبارها عنصرًا اجتماعيًّا، وكان الجاحظ قد شدد على ضرورة البحث في الدلالات الاجتماعية وسماها بالمقام، ويعني به الظروف الاجتماعية التي تحيط بالمتكلم والسامع.[٣] وأشار إلى هذا الأمر في قوله: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلامًا، ولكل حالة من ذلك مقامًا، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار

[٢] انظر: عبد الغفار حامد هلال، **علم الدلالة اللغوية**، ص٥٤-٥٦.

[٣] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص٣٥.

المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات".[٤] لقد أقر الجاحظ من خلال هذا الكلام على وجود تنوعات للمعاني بناء على البيئة الاجتماعية التي وردت فيها، وذلك لوجود الاختلافات في الكلام عند كل طبقة من طبقات المجتمع، سواء من الناحية الكلامية أو الثقافية أو العلمية أو غيرها. كما ألمح ابن جني حول إمكانية توسيع المعاني للكلمة من خلال مراعاة البيئة الاجتماعية التي وردت فيها، فقال: "لو نقل إلينا هذا الشعر شيئًا آخر من جملة تبين الحال، فقال مع قوله: قالت: قاف وأمسكت بزمام بعيرها أو عاجته علينا لكان أبين...".[٥] وموضع الكلام هنا هو قول ابن جني بضرورة تناول العناصر المحيطة بالكلام لتوضيح المعنى المراد منه.

أما اللغويون المحدثون فقد طال نظرهم في الدلالة الاجتماعية، وجاءوا بنظرية السياق التي تتعامل مع اللغة من جوانب متعددة. ولا تقتصر المعاني عندهم على ما ورد في المعاجم اللغوية فحسب، بل لا بد من تحقق المعاني في الممارسات الكلامية للمجتمع. ولهذا صرح "فيرث" بأن حصول المعنى لا يتحقق إلا من خلال نقل الوحدة اللغوية ووضعها في سياقات مختلفة.[٦]

قسم "كيرت أمر" (Kurt Ammer) السياق إلى أربعة أقسام:

١- السياق اللغوي: ويقصد به ما يتصل بنظام اللغة من كلمات وألفاظ تتصل اتصالًا مباشرًا بالدلالة اللغوية.

٢- السياق غير اللغوي: ويقع تحته السياق العاطفي، وسياق الموقف، والسياق الثقافي.

---

[٤] عمرو بن بحر، الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج١، ص٥٣.

[٥] انظر: عثمان بن جني، ابن جني، **الخصائص**، ج١، ص٢٤٦.

[٦] انظر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص٦٨

السياق العاطفي: هو ما يتصل بدرجات الانفعال للمتحدثين من حيث القوة والضعف.[٧] ومباحثه غالبًا تتعلق بالدلالة النفسية.

أما سياق الموقف: فيتصل بالموقف الذي يقع فيه الكلام؛ حيث إنه يهتم بالأجواء المحيطة بالحادثة الكلامية. مثال ذلك: كلمة "يرحم" الذي تصاحب موقف تشميت العاطس قد تفيد معنى مختلفًا لو صاحبت الكلمة نفسها مقام الترحم بعد الموت، فالسياق الأول يفيد طلب الرحمة في الدنيا بينما السياق الثاني فيعني به طلب الرحمة في الآخرة. ويدخل في إطار الموقف أيضًا الخلفيات الثقافية التي ينتمي إليها المتكلمون، فكلمة "جِذر" لها معناها الخاص عند المزارع، ويختلف مفهومها عند اللغوي، وأيضًا عند عالم الرياضيات.[٨] كما يهتم سياق الموقف بالعادة السائدة لدى المجتمع، فنجد أن كلمة "الشاة" توحي بالليونة والوقار في مجتمع معين، بينما في مجتمع آخر فإن كلمة "الشاة" لا تفيد إلا المعاني السلبية كالقباحة والحماقة وغيرها.

ذهب كل من خرما وعلي حجاج إلى تحليل مواطن الدلالات الاجتماعية بتفاصيل دقيقة وعدوها في الأمور الآتية:

١-نوع الحدث: أي أنماط الكلام؛ أهو حوار أم محاضرة أم قصة؟ وغيرها من أنواع الكلام المتداول بين الناس.

٢-موضوع الحدث: وهو الذي يسير عليه تبادل الكلام ويجري على وفقه، وذلك كالطقس والصناعة والدين، وغيرها من الموضوعات التي لا تحصى ولا تعد.

---

[٧] فيندرس، **اللغة**، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٠م)، ص٢٣٥.

[٨] انظر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص٧١.

٣-غرض أو وظيفة الحدث الكلامي: وهذا يشمل الأهداف التي سبقت الأحداث الكلامية.

٤-المناسبة أو الموقف: ويقصد بهما المكان والزمان وما فيهما من مواصفات خاصة لهما من وقت كيوم وشهر وموسم، ومحددات مكانية من حجم وغيره، والثقافات، وغيرها.

٥-المشاركون في الحدث: وما يتعلق بهم من الأعمار والجنس والانتماء العرقي وأوضاعهم الاجتماعية وطبيعة العلاقات القائمة بين المتكلم والسامع.

٦-شكل أو صيغة الرسالة اللغوية: وهذا الأمر مما يتعلق بهيئة الكلام؛ أهو منطوق أو مكتوب؟ وتدخل ضمن الصيغة أيضًا اختلاف اللغات بين المتكلمين أو تمايز في اللهجات بينهما.

٧-محتوى الرسالة اللغوية: ويقصد به الأفكار والمعاني التي تضمنتها الأحداث الكلامية، وهي المادة التي حاول المتكلم إيصالها إلى السامع.

٨-تسلسل الكلام: وهو كيفية جريان المحادثة بين طرفيها المتكلم والسامع، كمقاطعة الكلام وتبادل الأدوار وغيرها.

٩-قواعد التفاعل اللغوي: ويقصد بها الانتماء الاجتماعي للمتكلم والسامع؛ كالأجناس والأعمار والتخصصات العلمية، وغيرها مما يؤثر على مستوى التفاعل في الحادثة الكلامية.

١٠-توليد المفاهيم عند المتكلم والسامع: وهو ما يتعلق بالعناصر الاجتماعية المؤثرة على فهم الفكرة. وتشتمل هذه العناصر على المعتقدات والمذاهب الفكرية التي تؤدي دورًا مهمًّا في تحقيق التفاهم بين المتكلم والسامع.[٩]

من هنا ندرك أن الدلالة الاجتماعية قد بحث عنها القدامى والمحدثون، فهي قضية ليست حديثة بذاتها، وأن الجهود التي قدمها اللغويون المحدثون يصح اعتبارها شروحًا وتفاصيل منظمة لمجمل الكلام عند العلماء القدامى الذين وضعوا أساسًا لهذه النظرية كابن جني والجاحظ وغيرهما. وصرح بهذه الحقيقة مجاهد عبد الكريم في قوله: "وبعد كل ما سبق، نستطيع أن نخرج بنتيجة واضحة، دون تحيز لابن جني أو تجن على غيره، أي أن الأصالة في سياق الحال إنما هي لابن جني من اللغويين العرب وليست للغوي الإنجليزي "فيرث". وذلك لأننا بعد مناقشة ما ورد عن ابن جني ومقارنته بعناصر سياق الحال الذي قررها "فيرث" لم نجد أدنى فرق بينهما، سوى أن الأخير قد عمل لسياق الحال نظرية منظمة معطيًا إياها الأهمية القصوى في بيان المعنى الدلالي.[١٠]

خلاصة القول: أن الدلالة الاجتماعية والنفسية تمثلان الجانب الخفي للغة، وذلك أن الاستعمالات اللغوية غالبًا ما تتركز في الدلالة اللغوية التي تظهر في الاستعمالات الظاهرة للغة، سواء على مستوى الأصوات أو المفردات أو التراكيب أو الأسلوب أو السياق، إلا أن ما وراء استعمالات اللغة من العناصر النفسية والاجتماعية قد تعطي معنى آخر للكلام وتوجهه إلى أبعاد أخرى مختلفة.

---

[٩] انظر: نايف خرما، **اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها**، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٨م)، ص٤٦-٤٧.

[١٠] مجاهد عبد الكريم، **الدلالة اللغوية عند العرب**، (عمان: دار ضياء، ١٩٨٥م)، ص١٦٤.

المبحث الثاني: التحليل الاجتماعي للحوار في سورة يوسف

في هذا المبحث سيركز الباحث في تحليل الدلالات الاجتماعية للحوار في سورة يوسف، وذلك من خلال تتبع العناصر الاجتماعية لبعض المتحاورين في هذه السورة من حيث المفردات والأسلوب والتراكيب، لكون اللغة هي وليدة حاجة المجتمع، فهي تساير نموه وتواكب أحداثه وتوفي حاجاته، فاللغة والمجتمع في احتكاك دائم لا يتوقف، ويظهر هذا الأمر في كلام المتحاورين، حيث يدرك منه ما يصور البيئة الاجتماعية المحيطة بهم من خلفيات ثقافية وتخصصات فردية وخبرات اجتماعية.

أولاً– حوار يوسف عليه السلام:

(ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمرا وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزا تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين (٣٦) قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي إني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون (٣٧)).[١١]

في هذا الحوار دلالات اجتماعية تصور الوضع الاجتماعي في مجتمع مصر، ويكون ذلك من خلال حديث صاحبي السجن عن الرؤيا التي عرضت عليهما في المنام، فهذه الرؤيا متصلة بشكل مباشر بالممارسات الثقافية والاجتماعية السائدة عندهم، نلاحظ أن مادة (رأي) في سورة يوسف ذكرت خمس عشرة مرة في السورة بصيغ مختلفة (رأيت، رأيتهم، رؤياك، رأى، لنراها، رأينه، رأوا، أراني، نراك، رؤياي، للرؤيا، ترون)، وتتفرع من هذه المادة معانٍ متعددة، منها البصر كقول الله: (فلما رأى قميصه قد من دبر...) ،[١٢] ومنها أيضًا المعرفة والاستجابة

[١١] سورة يوسف: ٣٧.

[١٢] سورة يوسف: ٢٨.

كقول الله: (ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه...) ،[١٣] والرؤيا: الحلم، وهو ما يقصد من قول الله: (إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا) ،[١٤] والاعتقاد[١٥] (إ...نا لنراها في ضلال مبين) ،[١٦] فالرؤيا بمعنى الحلم كررت في سورة يوسف ثماني مرات، وذلك في قول الله: (إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين) ،[١٧] (...لا تقصص رؤياك على إخوتك...) ،[١٨] (إنى أرانى أعصر خمرا) ،[١٩] (إِني أراني أحمل فوق رأسي خبزا) ،[٢٠] (إِنى أرى سبع بقرات سمان) ،[٢١] (يأيها الملأ أفتونِى فى رؤْياي) ،[٢٢] (للرؤيا تعبرون) ،[٢٣] (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي).[٢٤]

لم تُذكر (رأى) بمعنى الرؤيا المنامية في غير سورة يوسف إلا في موضعين من سورة الصافات حيث قال الله تعالى: (قالَ يابنى إنى أرى في المِنام أنى أذبحك) ،[٢٥] (...قد صدقت الرؤيا إنا كذَلك نجزى المحسنين).[٢٦]فكثرة ورود الرؤى المنامية في سورة يوسف من شأنه أن يكشف عن مدى صلة المجتمع في ذلك العصر بتأويل الأحلام، وأنهم كانوا يعتمدون عليه في شئونهم الحياتية

---

[١٣]المرجع نفسه: ٢٤.

[١٤]المرجع نفسه: ٣٦.

[١٥]إبراهيم مدكور، **معجم ألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة: مجمع اللغة العربية، ط٢، ١٩٨٨م)، ج١، ص٤٥٨.

[١٦]سورة يوسف: ٣٠.

[١٧]سورة يوسف: ٤.

[١٨]سورة يوسف: ٥.

[١٩]سورة يوسف: ٣٦.

[٢٠]سورة يوسف: ٣٦.

[٢١]سورة يوسف: ٤٣.

[٢٢]سورة يوسف: ٤٣.

[٢٣]سورة يوسف: ٤٣.

[٢٤]سورة يوسف: ١٠٠.

[٢٥]سورة الصافات: ١٠٢.

[٢٦]سورة الصافات: ١٠٥.

ويتناقلونه بينهم، وكان تأويل الأحلام عندهم من صنع الكهانة والشعوذة المنحرفة، أما تأويل يوسف عليه السلام فكان وحيًا من عند الله تعالى بقوله: (ذلكما مما علمني ربي)، ومن حكمة الله تعالى أن جعل لكل نبي معجزة تناسب عصره، فكأن تخصيص معجزة تأويل الأحلام ليوسف عليه السلام يأتي مراعاة للخلفية الثقافية للمجتمع في ذلك العصر الذي شاع عندهم الأخذ بالرؤى والأحلام.

كما نجد في هذا الحوار أن الفتيين وصفا يوسف عليه السلام بقولهما: (إنا نراك من المحسنين) حيث تؤكد صفة الإحسان في يوسف عليه السلام بحرف توكيد ونصب (إنّ) لغرض نفي الشك والإنكار،[٢٧] فهذا الأمر يشير إلى أن صفة الإحسان كانت معرضة للتشكيك في ذلك المجتمع الذي يسوده الانحلال الأخلاقي، وأبرز مثال على ذلك ما ارتكبته امرأة العزيز ونسوة المدينة من المراودة والكيد ليوسف عليه السلام، وأن هذه الجريمة لم تكن لتصدر منهن إلا في بيئة ممتلئة بالفساد الفكري والخلل العقدي، حيث يكثر فيها العيش بالرفاهية والأخذ بالملذات وإشباع الأهواء، ناهيك عن انتشار العبودية وغياب العدالة في القضاء، ونرى استخدام (إنّ) لوصف سلوك امرأة العزيز ونسوة المدينة في سورة يوسف من خلال قول الله تعالى: (...إنه لا يفلح الظالمون) ،[٢٨] (...إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم) ،[٢٩] (...إنك كنت من الخاطئين) ،[٣٠] (...إنا لنراها في ضلال مبين) ،[٣١] (...إن ربي بكيدهن عليم).[٣٢] وأما وصف الله تعالى

[٢٧]محمد الطاهر بن عاشور، ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٣، ص٤٩.

[٢٨]سورة يوسف: ٢٣.

[٢٩]سورة يوسف: ٢٨.

[٣٠]سورة يوسف: ٢٩.

[٣١]سورة يوسف: ٣٠.

[٣٢]سورة يوسف: ٥٠.

يوسف عليه السلام فنجده في قوله: (...إنه من عبادنا المخلصين) ،[٣٣](....إنا نراك من المحسنين) ،[٣٤](...وإنه لمن الصادقين) ،[٣٥] (...إنك اليوم لدينا مكين أمين) ،[٣٦] (...إني حفيظ عليم) ،[٣٧] (...إنا نراك من المحسنين).[٣٨]يصح القول بأنّ امرأة العزيز ونسوة المدينة جزء لا يتجزأ من مجتمع مصر، فنجد وصف الله تعالى لهن بالظلم والضلال والكيد والخطأ ينطبق أيضًا على البيئة الاجتماعية عندهن، أما يوسف عليه السلام فقد برّأه الله من هذه الرذائل، وكان محسنًا صادقًا أمينًا ونورًا مضيئًا بين الظلمات، فنال إعجاب الكثيرين بخلقه العظيم.

الجانب الاجتماعي لهذا الحوار يظهر في سؤال صاحبي السجن يوسف عليه السلام عن الرؤيا التي عرضت عليهما في منامهما، وهذا السؤال من شأنه أن يبرز جانباً من الجوانب الثقافية لمجتمع مصر في ذلك الزمن، وهو تعاملهم مع الرؤى والأحلام؛ حيث إنهم استندوا إليه في تدبير شؤون حياتهم اليومية، وما يثبت ذلك أننا نجد الفعل (رأى) بمعنى الرؤيا المنامية قد ذكر في عشرة مواضع من القرآن الكريم، ثمانية منها في سورة يوسف؛، لذلك يصح القول إنَّ تأويل الرؤى والأحلام من الممارسات الاجتماعية والثقافية التي قام عليها المجتمع المصري في عهد يوسف عليه السلام. كما نجد استخدام صاحبي السجن أداة توكيد (إنَّ) في وصفهما يوسف عليه السلام بالإحسان ما يوحي بأن بيئة الاجتماعية في مصر آنذاك ممتلئة بالفساد الأخلاقي. وهذه الصورة تتضح أكثر فأكثر حينما نقارن صفة يوسف عليه السلام بصفة شريحة أخرى من مجتمع مصر والتي تمثلت في امرأة العزيز ونسوة المدينة؛ حيث نرى الفرق الشاسع بينهما في

---

[٣٣]سورة يوسف: ٢٤.

[٣٤]سورة يوسف: ٣٦.

[٣٥]سورة يوسف: ٥١.

[٣٦]سورة يوسف: ٥٤.

[٣٧]سورة يوسف: ٥٥.

[٣٨]سورة يوسف: ٣٦.

الأخلاق فيوسف عليه السلام وُصِف بالإخلاص والصدق والأمانة، بينما امرأة العزيز ونسوة المدينة وُصِفْنَ بالظلم والمكر والضلال.

ثانياً– حوار يعقوب عليه السلام:

(قال لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به إلاَ ن يحاط بكم فلما آتوْه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل (٦٦)).[٣٩]

يعقوب عليه السلام في هذا الحوار يحاور أبناءه حين طلبوا منه أن يحضروا أخاهم الصغير بنيامين إلى مصر، وذلك استجابة لمطلب عزيز مصر يوسف عليه السلام، فيعقوب عليه السلام في هذه المرحلة قد عاش سنوات طويلة وتكونت عنده خبرات اجتماعية طويلة في تعامله مع إخوة يوسف، ونرى آثار هذه الخبرة في استعماله كلمة (مَوْثِقًا) في هذا الحوار، ولم ترد هذه الكلمة إلا في ثلاث مواضع من سورة يوسف، وذلك في قول الله تعالى: (...حتى تؤتون موثقا...) ،[٤٠] (آتوْه موثقهم...) ،[٤١] (...قد أخذ عليكم موثقا من الله...).[٤٢] فالموثِق يعنى به "عهد مؤكد"،[٤٣] إلا أن القرآن الكريم قد عبر عن نفس المعنى مستخدمًا كلمة (ميثاق) في ثلاثة وعشرين موضعًا منه، وذلك في قول الله: (الذين ينقضون عهد الله من بعدِ ميثاقه...) ،[٤٤]

---

[٣٩]سورة يوسف: ٦٦.

[٤٠]سورة يوسف: ٦١.

[٤١]سورة يوسف: ٦١

[٤٢]سورة يوسف: ٨٠.

[٤٣]أحمد مختار عمر، **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، (جدة: مؤسسة التراث، ط١، ٢٠٠٢م)، ص٤٧٢.

[٤٤]سورة البقرة: ٢٧.

(وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقَكم...) ،[٤٥] (وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل...) ،[٤٦] (وإذ أخذنا ميثاقكم لاَ تسفكون دماءكم...) ،[٤٧] (وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور...) ،[٤٨] (وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما ءاتيتكم...) ،[٤٩] (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب...) ،[٥٠] (...وأخذن منكم ميثاقا غليظا) ،[٥١] (...وبينهم ميثاق أو جاءوكم...) ،[٥٢] (...وبينهم ميثاق فدية مسلمة...) ،[٥٣] (...وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) ،[٥٤] (فبما نقضهم ميثاقهم...) ،[٥٥] (...وميثاقه الذى واثقكم به...) ،[٥٦] (...ميثاق بنى إسرائيل وبعثنا منهم...) ،[٥٧] (فبما نقضِهِم ميثاقهم لعناهم...) ،[٥٨] (...أخذنا ميثاقهم فنسوا حظا...) ،[٥٩] (لقد أخذنا ميثاق بنى إسرائِيل...) ،[٦٠] (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب...) ،[٦١] (...إلا على قوم بينكم وبينهم

---

[٤٥]سورة البقرة: ٦٣.

[٤٦]سورة البقرة: ٨٣.

[٤٧]سورة البقرة: ٨٤.

[٤٨]سورة البقرة: ٩٣.

[٤٩]سورة آل عمران: ٨١.

[٥٠]سورة آل عمران: ١٨٧.

[٥١]سورة النساء: ٢١.

[٥٢]سورة النساء: ٩٠.

[٥٣]سورة النساء: ٩٢.

[٥٤]سورة الأحزاب: ٧.

[٥٥]سورة المائدة: ١٣.

[٥٦]سورة المائدة: ٧.

[٥٧]سورة المائدة: ١٢.

[٥٨]سورة المائدة: ١٣.

[٥٩]سورة المائدة: ١٤.

[٦٠]سورة المائدة: ٧٠.

[٦١]سورة الأعراف: ١٦٩.

ميثاق...) ،[٦٢] (...ولا ينقضون الميثاق) ،[٦٣] (...ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه...) ،[٦٤] (...وأخذنا منهم ميثاقا غليظا) ،[٦٥] (...وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين).[٦٦] فلا شك أن يعقوب عليه السلام استعان بلفظ (مَوْثِقًا) لداعٍ من الدواعي لم يظهرها القرآن الكريم، فالاختلاف بين لفظ (مَوْثِقًا) و(ميثاقًا) يكون في بنيتهما الصرفية، فـ(ميثاقًا) من نوع المصدر الصريح أما (مَوْثِقًا) فهو من نوع المصدر الميمي الذي يصاغ من المصدر الأصلي للفعل الثلاثي وغير الثلاثي صياغة قياسية تلازم الإفراد والتذكير، ويؤدي ما يؤديه المصدر الأصلي من الدلالة على المعنى المجرد من العمل ولكنه يفوقه في القوة والدلالة[٦٧]، فدلالة المصدر الميمي تختلف عن الدلالة التي يحملها المصدر الصريح، وذلك أن المصدر الميمي يحمل المعنى إلى مدى أبعد مما يحمله المصدر الصريح، لكونه يكسب معناه من الذات مشابهةً بظرفي الزمان والمكان، أما المصدر الصريح فيستند معناه إلى غيره من خلال الإضافة إلى فاعل أو مفعول به، فإذا اقترن باللام يكسب معناه من التعريف،[٦٨] فمثلًا في قول الله تعالى: (عليه توكلت وإليه متاب)[٦٩] المتاب مصدر ميمي يعني به: منتهى التوبة والتوبة الكاملة، فيكون المعنى أشد وأقوى من كلمة (التوبة)، فالموثق في الحوار يعني به عهدًا في منتهى الثقة والأمانة،[٧٠] فالخبرة الاجتماعية التي مر بها يعقوب عليه السلام مع أبنائه في المرة السابقة دفعته إلى الحرص على إتيانهم بميثاق ملزم غير

---

[٦٢] سورة الأنفال: ٧٢.

[٦٣] سورة الرعد: ٢٠.

[٦٤] سورة الرعد: ١٣.

[٦٥] سورة الأحزاب: ٣٣.

[٦٦] سورة الحديد: ٥٧.

[٦٧] انظر: عباس حسن، **النحو الوافي**، (القاهرة: دار المعارف، ط٤، ١٩٧٥م)، ج٣، ص٢٣١.

[٦٨] محمد عبد المجيد عبد اللطيف، **المصدر في القرآن الكريم**، (رسالة دكتوراه في علوم القرآن، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٦م)، ص٣٥٦-٣٥٧.

[٦٩] سورة الرعد: ٣٠.

[٧٠] محمد الطاهر بن عاشور، ابن عاشور، **تفسير التحرير والتنوير**، ج١٣، ص١٤٢.

قابل للنقض، وذلك باعتبار أنهم خرقوا عهدهم بالحفاظ على يوسف عليه السلام حين قالوا: (أرسله معنا غدًا يرتع ويلعب وإنا له لحافظون).

مما تجدر الإشارة إليه أن المصدر الميمي لم يكثر ذكره في اللغة العربية، وأن العرب في نطقهم لم يستعينوا كثيرًا بالمصدر الميمي مقارنة بالمصادر الأخرى، فلذلك نجد أن العلماء القدامى أمثال سيبويه والمبرد لم يجعلوا له بابًا مستقلًّا في كتبهم، بل أدرجوه ضمن المشتقات،[٧١] ولم يظهر أول تسمية لمصدر ميمي إلا عند ابن هشام في قوله: "...المصدر المبدوء بميم زائدة دون المفاعلة كالمضرب والمقتل، وذلك لأنه مصدر في الحقيقة ويسمى المصدر الميمي.[٧٢]

يرى إسماعيل عمايرة أن اقتران الميم في المصادر من أساليب بناء المصادر في اللغات السامية،[٧٣] فبناء على هذا الرأي فالباحث قام بإحصاء المصادر الميمية التي وردت على لسان الأنبياء في القرآن الكريم، ووجدها في قول الله تعالى: (قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي...) ،[٧٤] (قال معاذ الله أَن نأخذ إلا من وجدنا...)[٧٥] وهذا الكلام يعود إلى يوسف عليه السلام، وقول الله: (وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا...)[٧٦] وهو كلام عائد إلى سليمان عليه السلام، وقول الله: (...معكم حتى تؤتونَ موثقا...)[٧٧] وهو كلام يعقوب عليه السلام، وقول الله: (...أن يحل عليكم غضب من ربكم فأخلفتم موعدي...)[٧٨] وهو ما قاله موسى عليه السلام،

---

[٧١]عبد الله حسن الذنيبات، **المصدر الميمي في القرآن الكريم – دراسة صرفية دلالية–**، (رسالة ماجستير في اللغة العربية، جامعة مؤتة، الأردن، ٢٠٠٩م)، ص٢١.

[٧٢]عباس حسن، **النحو الوافي**، ج٣، ص٢٠٧.

[٧٣]إسماعيل عمايرة، التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية: دراسة مقارنة، **مجلة دراسات**، (جامعة اليرموك، الأردن، ١٩٩٦م)، ص٢٤٩-٢٥٠.

[٧٤]سورة يوسف: ٢٣.

[٧٥]سورة يوسف: ٧٩.

[٧٦]سورة النمل: ١٦.

[٧٧]سورة يوسف: ٦٦.

[٧٨]سورة طه: ٨٦.

وكل هؤلاء الأنبياء لهم سمة مشتركة، وهي أنهم جميعهم من أحفاد نوح عليه السلام الذي تنطلق منه سلالة سامية، وذلك لقوله تعالى: (ووهبنا له إسحاق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين)،[٧٩] فالعادة اللغوية لدى الساميين تداولهم المصدر الميمي في كلامهم، على الرغم من أن هناك آراء تنسب يعقوب وأبناءه إلى سلالة الكنعانيين الذين أقاموا في فلسطين، إلا أن هناك دليلًا وبرهانًا قاطعًا على وجود الصلة بين الساميين والكنعانيين في الثقافة واللغة،[٨٠] إضافة إلى أن مجتمع مصر في عهد يوسف عليه السلام كان يعيش تحت حكم (الهكسوس) الذين كانوا ينتمون إلى قبائل سامية هاجرت من جزيرة العرب وبسطت نفوذها على جزء من أرض مصر،[٨١] ومن المعقول أن يتأثر المجتمع ببعض ثقافة المستعمرين، ومنها طريقتهم في الكلام، ولا سيما أن (الهكسوس) نهضوا بثقافتهم اللغوية حيث نسب إليهم اختراع الأبجدية السامية التي تعتبر أم الأبجديات الحديثة، ولها دور مهم في تطوير الكتابة من الحروف التصويرية إلى الحروف الصوتية.[٨٢]

فذكر يعقوب عليه السلام لفظ (مَوْثِقًا) في هذا الحوار يوضح أبعادا اجتماعية متعددة:

أولها: حرصه على سلامة ابنه بنيامين، فأتى بلفظ (مَوْثِقًا) الذي يحمل معنى أقوى من لفظ (ميثاقًا) حتى يلزم إخوة يوسف عليه السلام بالمحافظة على بنيامين في رحلتهم وهو ما توصل إليه يعقوب عليه السلام من خبرته الشخصية في التعامل مع إخوة يوسف.

ثانيها: احتضانه الثقافة السامية في الكلام حيث من عادة الساميين اعتمادهم على المصدر الميمي في كلامهم.

---

[٧٩] سورة الأنعام: ٨٤.

[٨٠] انظر: إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللغات السامية**، (القاهرة: مطبعة الاعتماد، ط١، ١٩٢٩م)، ص٢.

[٨١] المرجع نفسه، ص٦.

[٨٢] محمد فاروق الزين، **بيان النظم في القرآن الكريم**، (دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٤م)، ص٣٥٩.

ثالثها: تأثره بالثقافة اللغوية لحكام مصر من (الهكسوس) الذين ينتمون إلى سلالة سامية.
وكل من هذه الأبعاد تلقي ضوءًا كاشفًا للعادة الاجتماعية التي تحيط بيعقوب عليه السلام في هذا الحوار.

الخاتمة

نجد أن الدلالة الاجتماعية في الحوار في سورة يوسف لم يكن لها دور بارز في تصوير وقائع الأحداث فيها، حيث إن وجود هذه الدلالة محدود في بعض الجمل الحوارية، ولم تصل نسبة ورودها لتماثل الدلالة النفسية التي نراها تصاحب معظم الحوارات بين شخصيات مختلفة في سورة يوسف. وذلك باعتبار أن مغامرة يوسف عليه السلام يصح اعتبارها مغامرة نفسية أكثر مما هي مغامرة اجتماعية، لذلك يكون التركيز في تصوير الوقائع النفسية فيها. وسورة يوسف عليه السلام من السور المكية التي غالبًا ما تبحث في صميم المعتقدات المستقرة في نفس الفرد، وكثرة تناول هذه السورة للدلالات النفسية مما يعزز ترسيخ العقيدة الصحيحة لدى الإنسان، وهذا الأسلوب يتناسب مع البيئة المكية التي ينتشر فيها الفساد في العقيدة والأخلاق.

أما الدلالة الاجتماعية على الرغم من وجودها المحدودة فإنها تحقق الانسجام التام مع الدلالة النفسية التي يحتوي عليها الحوار القرآني في سورة يوسف، فمثلا، نجد أن ما شعرت به الإخوة من حقد تجاه يوسف عليه السلام ينسجم مع خلفيتهم الاجتماعية التي تعتز بالجماعة والأفراد. وكذلك نرى في العشق الجنوني لامرأة العزيز ليوسف عليه السلام ما يتصل بخلفيتها الاجتماعية الممتلئة بالرفاهيات والملذات، حيث أنها لم تكن تنو شيئا إلا حصلت عليه. أما من ناحية الأسلوب، فالدلالة الاجتماعية للحوار في سورة يوسف عبرت بأسلوب دقيق لا يمكن إدراكها إلا بعد تأمل طويل، وذلك أن هذه الدلالة لم يعبر عنها كلها بأسلوب مباشر، بل بعضها عبر بأسلوب دقيق لا يمكن إدراكه إلا بعد تأمل طويل، حيث نجد في كلمة واحدة ما يوضح أبعادًا

اجتماعية واسعة من الخبرات الثقافية والعقائدية واللغوية والتاريخية. مثال على ذلك كلمة "الملك" فإنها تفتح آفاقًا واسعة حول ما تناولته قبائل الهكسوس من القيم الدينية والاجتماعية والثقافية والأخلاقية والتاريخية، وهذه العناصر كلها اجتمعت في مصطلح واحد ألا وهو "الملك". وكذلك ما نراه في كلمة "موثقًا" على لسان يعقوب عليه السلام فإنها تلخص الخبرات الاجتماعية الطويلة التي اكتسبها في تعامله مع إخوة يوسف عليه السلام، وفي نفس الوقت، تلقي ضوءًا كاشفًا للثقافة اللغوية والتاريخية ليعقوب عليه السلام والمجتمع حوله، وهذا الأسلوب مما يزيد الدلالة الاجتماعية لسورة يوسف عليه السلام جمالًا وروعة وتكون سمة فخر تميزت بها هذه السورة عن سائر السور القرآنية.

المصادر والمراجع

الكتب

القرآن الكريم

الخصائص. ط٤. القاهرة: دار الكتب جني، أبو الفتح عثمان بن جني. (٢٠٠٦م). ابن المصرية.

الجاحظ، أبو عثمان مرو بن بحر بن محبوب بن فزارة الليثي الكناني البصري. (١٩٨٤م). **البيان والتبيين**. ط١. بيروت: دار مكتبة الهلال.

حامد هلال، عبد الغفار. (٢٠١٣م). **علم الدلالة اللغوي**. ط١. القاهرة: دار الكتاب الحديث.

حسان، تمام. (١٩٧٢م). **اللغة العربية معناها ومبناها**. ط٢. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حسن، عباس. (١٩٧٥م). **النحو الوافي**. ط٤. القاهرة: دار المعارف.

خرما، نايف. (١٩٨٨م). **اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها**. ط٢. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

الزين، محمد فاروق. (٢٠٠٤م). **بيان النظم في القرآن الكريم**. ط١. دمشق: دار الفكر.

عاشور، محمد طاهر. (١٩٨٤م). **تفسير التحرير والتنوير**. ط١. تونس: الدار التونيسية للنشر.

عبد الكريم، مجاهد. (١٩٨٥م). **الدلالة اللغوية عند العرب**. ط١. عمان: دار ضياء.

عمر، أحمد مختار. (١٩٩٨م). **علم الدلالة**. ط٥. القاهرة: عالم الكتب.

فندريس، جوزيف. (١٩٥٠م). **اللغة**. د.ط. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.

مدكور، إبراهيم. (١٩٨٨م). **معجم ألفاظ القرآن الكريم**. ط٢. القاهرة: مجمع اللغة العربية.

ولفسون، إسرائيل. (١٩٢٩م). **تاريخ اللغات السامية**. ط١. القاهرة: مطبعة الاعتماد.

الرسائل الجامعية

الذنيبات، عبدا لله حسن. (٢٠٠٩م). **المصدر الميمي في القرآن الكريم دراسة صرفية دلالية**. رسالة ماجستير غير منشورة، كلية اللغة العربية، عمان: جامعة مؤتة.

عبد اللطيف، أبو سعيد محمد عبد المجيد. ١٩٩٦م. **المصدر في القرآن الكريم**. رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية اللغة العربية، عمان: الجامعة الأردنية.

الدوريات

عمايرة، إسماعيل. (١٩٩٦م). التطور التاريخي لأبنية المصادر في العربية: دراسة مقارنة. **مجلة دراسات الجامعة الأردنية**. تصدر عن جامعة اليرموك الأردن.